الصعوبات المفتعلة على درب التعريب

للأستاذ الدكتور جميل الملائكة
استاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد
(عضو المجمع العلمي العراقي)

نفرض ابتداء ان حتمية التعريب أمر مفروغ منه، وان في العودة الى الكلام عليه تكرارا مملاً نحن في غنى عنه. ومن ثمّ فمن اولى المشكلات انه ما زال بين المثقفين أناس يتخوفون من التعريب، أو هم لا يؤمنون بقضيته، فيختلقون في سبيله العقبات ويفتعلون أمامه الصعوبات.

هل ننتظر اكمال المصطلحات قبل البدء بالتعريب؟

فمن ذلك ما يجري الكلام عليه بين حين وآخر من عدم توافر المصطلحات العلمية الكافية لسدّ حاجة التعريب، والقول بان سعة المواد العلمية، وسرعة نموها في هذا العصر، مما يستلزم أضعاف ما أعدّته وتُعدّه المجامع والهيئات المختصة من هذه الالفاظ العلمية. ان هذه النظرة الى الموضوع هي خاطئة في الأساس. فليس المفروض ان يجد أهل العلم عند المجامع والهيئات المعنيّة بالتعريب مصطلحا جاهزا لكل فكرة علمية دقيقة أو كشف علمي جديد. وانما يضَع العلماء، هم أنفُسهم، اللفظ العلمي، وهم يستعينون أهل اللغة في ذلك كلما دعت الحاجة اليه. ولو لم يكن الأمر كذلك لتأخرت مسيرة العلم في العالم المتقدم كثيرا. ومثل هذا فعل أسلافنا عندما نقلوا الى العربية علوم اليونان والهند إبّان ازدهار الحركة العلمية والحضارة في العالم العربي القديم. فهم لم ينتظروا حتى تزوّدَهم هيئات علمية ولغوية بالالفاظ التي استعملوها في لغة العلم. ومثال ذلك انهم وضعوا لفظ (الجبر) لهذا العلم الذي ابتكروه، واختاروا لفظ المنطق ليقابل اللفظ اليوناني Logikos، وآلافا من الالفاظ العلمية من هذا القبيل. وفي هذا العصر الذي سِمَتُه السرعة، لا يمكن ايضا لأصحاب الابحاث العلمية المتزايدة،

والفكرات المتطورة، والكشوف المتجددة يوما بعد يوم في العالم المتقدم، ان ينتظروا كل مرة ريثما تجتمع المجامع والهيئات لتضع لهم لفظا علميا او تُقرّه للاستعمال.

لا يصبح اللفظ مصطلحا الاّ بعد تداوله:

ان وقفة بسيطة على المراد بكلمة (مصطلح) يمكن ان تدلّ على الكثير في هذا الشأن. فاللفظ الذي يضعه فرد او هيئة لدلالة علمية او حضارية معينة لا يمكن ان يُصبح (مصطلحا) الاّ بعد ان (يَصطلحَ) ويتواضعَ عليه المشتغلون بذلك العلم او المعنيون بذلك الجانب من الحضارة. اما قبل ذلك فهو لا يعدو كونه لفظا مقترحا دعت اليه الحاجة الآنيّة للتعبير عن فكرة علمية او حضارية. ومن ثم فلن يمكننا الحصول على اي مصطلح، بالمعنى الحقيقي، الاّ بعد وضع اللفظ المقترح في حيّز (الاستعمال). اي أن (التعريب) هو الذي يصنع لنا المصطلحات، وليس العكسُ، ولا بدّ لنا من ان نَدخل في مجال تعريب العلم لنحصلَ على مصطلحاته. إنّ حُجّة القائلين بالتريث في التعريب ريثما تكتمل المصطلحات متهافتة أساساً فهي تنقض نفسها بنفسها.

التعريب هو الذي يُفضي بالمصطلحات الى التوحيد:

ويُفضي بنا هذا الحديث الى أولاء الذين يقولون بالتريث في التعريب ريثما يتمّ (توحيد) المصطلحات. ولكنْ أيُّ مصطلحات توحَّد اذا لم تدخل الالفاظ المقترحة مجال الاستعمال؟ وأنّى يجري التوحيد اذا لم يتنادَ العلماء لتبادل الرأي في الألفاظ العلمية العربية التي استعملوها في تدريساتهم وفيما ينشرونه من بحوثهم وكتبهم المؤلفة باللغة العربية او المترجمة اليها؟ ان استعمال هذه الألفاظ والمصطلحات هو الذي يميّز بعضها على بعض، وان تداولها هو الذي يؤدي في الآخر الى اختيار الأصلح منها واقراره. وعلى هذه الشاكلة مثلا يكاد مصطلح relative density في الانكليزية ان يُزيح مصطلحي specific density و specific gravity للكثافة النسبية في الفيزياء، لكون الاول اوضح واجدر، بالبقاء. وهكذا تغلب مصطلح roughness على rugosity للدلالة على خشونة سطوح القنوات في علم الري وجريان الموائع، وزال مصطلح fluxion لمعنى (المشتقة) في الرياضيات وبقي مصطلح derivative.

وعلى هذه الشاكلة ايضا بقي عندنا مصطلح (مربّع) في الرياضيات، اي حاصل تربيع العدد، وزال مصطلح (مال) الذي استُعمل قديما للمعنى نفسه، وبقي (المفعول لأجله) او (المفعول له) في النحو وزال لفظ (العُذر)، وبقي علم (الفلك) وزال كلٌّ من مصطلحي (الهيئة) و (الاسطرونوميا) وكان هذا الأخير قد استُعمل في بادىء الأمر، وبقي مصطلح (المياه الجوفية) وزال مصطلح (المياه الخفيّة)، وبقي علم (المثلثات) وكان في زمن ما يسمى ايضا علم (الأنساب) لعلاقته بالنسب المثلثية، ومثل هذا كثير.

ليس عدم التوحيد عقبة في درب التعريب:

إنهم على أية حال يبالغون في اهمية هذا التوحيد والادعاء بأنه العقبة الكأداء في درب التعريب. فقد يبقى في الاستعمال مصطلحان لمعنى علمي بعينه زمنا طويلا دون ان يُزيح احدهما الآخر، بل قد يبقى عديد من المصطلحات للمعنى الواحد ولا يكون كبير ضَير في ذلك. وهكذا نجد بعضهم يعبّر في علم الاحصاء عن مجموعة الاشياء التي تؤخذ منها عيّنة للاستدلال منها على نَمَط التغير في المجموعة بلفظ universe، ويعبّر عنه بعضٌ بلفظ population، وبعضٌ بمصطلح bulk، ويستعمل آخَرون التعبير parent distribution[1]. وفي هندسة التعدين تعددت المصطلحات الدالة على الدلو الكبير المتخذ لرفع العمال والماء والحجارة والادوات من المنجم فهو hibble وهو bowk وهو skip hoppit وهو sinking bucket[2]. وفي هندسة البناء قالوا للخَرَزة التي تلبَّس حول الحافة الداخلية للشباك المنزلق، لمنع جزئه الداخلي من التأرجح الى داخل الغرفة guard bead و guide bead و inner bead و window bead و baton و inside stop و stop bead. وتعددت المصطلحات المستعملة للخشبة المائلة لاسناد ما بين عارضتي السلالم العريضة فهي مرة carriage ومرة rough string وتارة bearer واخرى stair horse[3]. وفي الهندسة المدنية استعملوا للارض التي تُمدّ نهرا في نقطة معينة وتقع بين

---

(١) انظر:
Grant, E.L.-Statistical Quality Control,
Mc Graw-Hill, p.72, New York, 1946.

(٢)
Scott, John S.- A Dictionary of Civil Engineering,
Third Edition, Penguin Reference Books, London, 1980.

(٣)
Scott, John S.-A Dictionary of Building, Penguin
Reference Books, London, 1975.

حرفين مرتفعين في اعلى تلك النقطة تارة catchment واخرى gathering groundes ومرة watershed ومرة catch basin واخرى drainage area، هذا اذا لم نذكر catchment area و drainage basin[٤].

وثمة الكثير من امثلة تعدد المصطلحات عندهم للمدلول الواحد على هذه الشاكلة، وهو حاصل في مختلِف فروع المعرفة، واكثرُ منه ما يقتصر فيه عدد المصطلحات للمدلول الواحد على اثنين او ثلاثة، وهو أمر طبيعي في كل لغة مُفعمة بالحياة ينتشر استعمالها في رقعة كبيرة من الأرض – ولكنّ كل ذلك لم يؤخر مسيرة العلم عندهم قطّ. فليس عدم وَحدة المصطلح بذاته هو العائق الحقيقي لتقدم العلم، وان يكن الافضلُ ان نحاول تجنبه لتقليل اللّبس، وانما العائق الحقيقي من ذلك هو ما يفتعله الذين لا يؤمنون بالقضية.

الدوريات العلمية تواكب ترسيخ اللغة العلمية ولا تسبقه:

ومثلُ ذلك حُجّة القائلين بالانتظار حتى تظهر المجلات والدوريات التي تنشر البحوث باللغة العربية، فكأنهم بذلك يريدون بدء الموضوع من نهايته. ولكن بأيّ لغة علمية تُكتَب هذه البحوث اذا لم تترسخ اللغة العلمية اوّلاً بممارستها بالتدريس وتهذيب مصطلحاتها بالخطاب في معاهد العلم ومنتدياته ومؤتمراته ليتمكن منها المتعلم والمعلم والباحث والعالم؟ ولمن تكُتَب هذه المجلات اذا كان القارىء لم يمارس اللغة العربيةَ العلميةَ وكانت متابعاته العلمية اليومية ودراساته كلها بلغة اجنبية؟

العربية اوفر عطاء من كثير من اللغات العلمية:

وأبطلُ من ذلك ادعاء بعضهم ضَعفَ اللغة العربية وعجزها عن وعاية علوم العصر والنهوض بمتطلباتها، وتلك أظلم تُهمَة اقترفها الاجنبي بحق لغتنا في زمن الاستعمار والتبعية، وبقيت مخلفاتها تضلّل عقول بعض الجهّال حتى يومنا هذا. فليست العربية

---

(٤) Nomenclature for Hydraulics, American Society of Civil Engineers, Naw York, 1962.

وانظر ايضا المرجع (٢) في الصفحة السابقة.

بأقلّ عطاء من عشرات اللغات التي اعتزّ بها أهلها، ولم تسمح لهم مشاعرهم القومية بالتخلي عنها، فاستعملوها للعلوم، فاستوعبتها جيدا ولم تقصُرْ عنها في شيء. بل ان العربية اغنى في خصائص الاشتقاق والمجاز والقياس من كثير من اللغات التي باتت تُدعى اليوم باللغات الحيّة زيادة في الثلب والنكاية في لغتنا.

وقد يتأثر بعض اولاء بلغة اجنبية درسوا علومهم بها واستدعت دراساتهم تعلّم جانب من قواعدها واصولها فيدينون لتلك اللغة بولاء عجيب يتجاوز حدّ المعقول ويُزَهِّدُهم بالعربية ويصرفُهم عن الايمان بمقدرتها على استيعاب العلوم وبجدوى التعريب. ولعلّ كثيرا من هؤلاء لم تسنح لهم الفُرصة للاطلاع على دقائق اللغة العربية ولطف خصائصها في التعبير وسعة عطائها في الوضع والاشتقاق والمجاز، ولو تسنى لهم اكتناهُ بعض ذلك لما وقفوا منها هذا الموقف المتهاون الظالم.

اللغات تختلف في خصائصها وطرائقها:

فاللغات الاوربية التي هي من اصول لاتينية او يونانية مثلا هي بطبيعتها (الصاقية). اي ان كثيرا من الفاظها يتألف من (جذر) ثابت لا يتغير في الأغلب، وهذا يمكن ان يغيِّرَ معناه بإلصاق (سابقة) او (صدر) في أوّله، او بإلصاق (لاحقة) او (كاسعة) في آخره، او بكلتا الاثنتين.

العربية اشتقاقية والصاقية:

اما العربية فتمتاز على تلك اللغات بكونها (اشتقاقية) فضلا عن كونها (الصاقية). اي ان اصل الفاظها الثلاثية الحروف في الأغلب، يمكن ان يدخله (حشو) بين حروفه، او (سابقة)، او (لاحقة)، او اكثر من واحدة من هؤلاء، فضلا عن أن حركات بعض حروفه الاصلية والزائدة قد يدخلها التغيير فيتغير المعنى.

ويمكن بقليل من التأمل، ادراك مدى الزيادة الكبيرة في احتمالات الاشتقاق والتوليد في اللغة العربية على سواها من اللغات اللاتينية واليونانية الأصول.

ومثال ذلك ان الفعل اللاتيني الاصل rage بمعنى (غضِبَ) يمكن ان يُصدَّر بسابقة

ليُصبح enrage او outrage، او يُكسع بلاحقة مثل raged أو raging أو ragingly، أو تُلصق به سابقة ولاحقة مثل enraged و enraging و outraged و outraging و outrageous و outrageously و outrageousness.

أما مقابله العربي فهو يأتي (مجردا من الزيادة) بصيغة الفعل (غَضِبَ) والمبني للمجهول (غُضِبَ) عليه، والمصدر وهو (غضَبٌ) والمبالغة (غَضِبٌ) للشديد الغضب. ويدخله (الحشو) فهو (غاضِبٌ) للفاعل، وهو (غضوب) للمبالغة بمعنى الكثير الغضب، والداء منه (غُضاب) للجُدَري او قذى العين، ويقال (غاضَبَ) فُلانٌ فلانا. وهو يُصدَّرُ (بسابقة) فيقال (أغضب) فلان فلانا، و (مُغضِب) للفاعل، و (مُغضَب) للمفعول، ويقال (استغضب) عليه بمعنى غضِب. وهو يكسع (بلاحقة) فيقال في الوصف (غضبان) و (غضبانة) و (غضبى)، والمرة (غَضْبةٌ). وقد تدخله اثنتان او اكثر من هذه الزيادات او تغيير الحركات. ومنه في المصدر (مَغضبةٌ)، ومنه (تغاضب) القوم، واسم الفاعل (متغاضِب) والمصدر (تغاضُبٌ)، ومنه (المغاضبة) مصدر غاضَبَ، وللفاعل (مغاضِب)، وللمفعول (مغاضَب)، ويقال (تغضّب) اذا اشتدّ غضبه، و (الغُضابيّ) الكدِر في معاشرته. وكثير مما جاء في اسماء هذا الباب يمكن جمعه إما سالما او مكسّرا، او تمكن النسبة اليه، او عملُ المصدر الصناعيّ منه، وغير ذلك من الاشتقاقات الكثيرة مما لم نذكره.

المجاز:

اما مجال توسيع معنى اللفظ العربي بالخروج من حقيقته الى المجاز فكان وما زال من اوسع الابواب في اغناء اللغة العربية. وقد يكفي للتمثيل في هذا الباب ايراد هذا الفعل (ضَرَبَ) الذي اصل معناه (الصدم او الاصابة بعصا او غيرها). فقد خرج منه على المجاز بضعُ عشرات المعاني والدلالات، ومنها:

(ضرب الشيءُ) اذا تحرك، و (ضرب الليلُ) اذا طال، و (ضرب القلبُ) نبض، و (ضرب العِرق) اختلج، و (ضربت السِّنُّ) اشتدّ وجعها، و (ضرب الزمان) مضى، و (ضربت العقرب) لدغت؛ و (ضربته العقرب) لدغته، و (ضرب على يده) حجر عليه، و (ضرب الخيمة) نصبها، و (ضرب النقودَ) سكّها وسكبها، و (ضرب على

الرسالة) ختمها، و (ضربت العنكبوت بنسجها) خيّمت، و (ضرب له موعدا) عيّنه، و (ضرب عنه صفحا) أعرض عنه، و (ضرب في مجاهل الأرض) ذهب فيها وأبعد، و (ضرب العودَ) عزَف به، و (ضرب الى الحُمرة) مال، و (ضرب له مثلا) ذكره له، و (ضرب له في مالِه نصيبا) جعله له، و (ضرب بنفسه الأرض) اقام فيها، و (ضرب في الماء) سبح، و (ضرب فلانا عن فلان) كفّه عنه، و (ضرب بينهم) أفسد، و (ضرب في الامر بسهم) شارك فيه، و (ضرب عليه النعاسُ) غلبه، و (ضرب الدهرُ بين القوم) فرّق بينهم، و (ضرب به عُرض الحائط) اهمله واحتقره، و (ضرب الخائم) صاغه، و (ضرب عليهم الجزيةَ) فرضها، و (ضرب الليلُ بظلامه) أقبل، و (ضرب عليه الحصارَ) حاطه وضيق عليه، (وضرب الشيءَ بالشيء) خلطه، و (ضرب عليه الذِّلّةَ) أذلّه، و (ضرب عن فلان الشيءَ) أمسكه عنه، و (ضرب في البوق) نفخ، و (ضرب بذَقنه الأرض) جبُن وخاف، و (ضرب بالقِداح) أجالها، و (ضرب الصلاةَ) أقامها و (ضرب العدد في العدد) كرّره بقدره، و (ضرب أخماساً لأسداس) سعى في المكر والخديعة. فأيُّ لغةٍ تتّسع الفاظها لمثل هذا القَدْر من توليد المعاني بالمجاز.

لا تُخضع العربية لقواعد لغة اجنبية:

ومن مظاهر تقديس اللغة الاجنبية عند بعضهم ان يريدوا اخضاع اللغة العربية لقواعد هذه اللغة أو تلك، وتطويعَها لأساليبها في الاشتقاق والتعبير، مع أن لكل لغة طبيعتَها وطرائقَها التي تتميز بها عن سواها، ولا سيما اللغات المتباعدة الاصول.

ومن ذلك ما يحاولون تكلفه من التزام ترجمة كل لفظة اجنبية مصدرة بسابقة او مكسوعة بلاحقة، او كلتيهما، بلفظة عربية واحدة، وكأن ترجمةَ اللفظ الاجنبي في بعض الاحيان بلفظين عربيين عقبة كؤود في طريق التعريب. هذا فضلا عن أن بعضهم يرى ضرورة التزام صورة ثابتة لترجمة السابقة أو اللاحقة. وكل هذا من العبث الذي لا طائل فيه. فالترجمة تتحكم فيها عوامل كثيرة من بينها طبيعة اللغة، والذوقُ، والسَّماعُ، وتجنب اللَّبْس، الخ، والمهم تكافؤ المعنى بين الأصل والنصّ المترجم مثلما لا تستوجب صحة المعادلة الرياضية تساوي عدد الحدود في طرفيها.

ولو نظرنا الى القضية من وُجهة معاكسة وتدارسنا ما يمكن ان يترجَم به الى الانكليزية

معنى (الطلب) في (الالف والسين والتاء) من صيغة (استفعل) ، وهو بعض معاني هذه السابقة ، أو معنى (التشريك) في صيغة (تفاعَل) ، او (التكثير والتشديد) في صيغة (فعَّل) المضعّفة العين ، او (التعدية) في صيغة (أفعَل) ، او معنى (البناء للمجهول) في صيغة (فُعِّل) ، او معاني الكثير مما عدا ذلك من الاوزان وحروف الزيادة ، لما وجدناهم يترجمون أياً منها بلفظة واحدة ، بل اننا لا نجد عندهم ، في الأغلب الأعم ، سابقة او لاحقة لكل من هذه المعاني . وعلى هذا قد يترجمون لفظ (استنجد) بعبارة he asked for help مثلا ، اي (طلب النجدة) ، ولا يجدون ضيرا في ذلك ، ويترجمون (تضاربوا) بعبارة they hit each other اي (ضرب بعضهم بعضا) ، و (قتّلهم) he perpetrated slaughter upon them اي (اوقع بهم مجزرة) ، و (أنامه) he put him to sleep اي (جعله ينام) ، و (سُرِق) he was robbed . والاوربيون لم يخطر ببالهم ، حتى في زمن ترجمة الكتب العربية الى لغاتهم ، ان يخترعوا سوابق او لواحق لمقابلة أمثال هذه الاشتقاقات او الصيغ ، وهي كثيرة . وهم لن يُجهِدوا قرائحهم في ذلك لأن فيه تكلفا لا مسوِّغ له . فضلا عن ان لكل من تلك الزوائد والصيغ معاني أخرى غيرَ التي ذكرنا . فصيغة (استفعل) مثلا قد تأتي لغير الطلب كما في (استحسن) و (استقام) ، و (أفعَل) قد لا تكون للتعدية كما في (أساء) و (أحسن) ، وصيغةُ (فُعِل) قد تكون لغير المجهول كما في (جُنّ) و (ذُهِل) ، الخ .

وكذلك لم يُثِرْ أسلافنا مثل هذه المشكلة عندما ترجموا علوم اليونان والهند . فلم تقف السوابق واللواحق اللاتينية واليونانية مثلا عقبة امامهم في طريق التعريب ، ولم يَشْغَلوا انفسهم يوما ما باختراع سابقة أو لاحقة تُلصق باللفظة العربية مقابل كل لفظة لاتينية فيها سابقة او لاحقة ، كل ذلك من أجل تكلف ترجمة اللفظة الواحدة بلفظة واحدة .

غيرَ أن جهودا كبيرة صارت تضيَّع اليومَ عبثاً في هذا السبيل . ومن أمثلة ذلك المحاولات العقيمة التي بدأت منذ بضعة وأربعين عاما لاختيار وزن أو صيغة عربية بلفظة واحدة للالفاظ المنتهية باللاحقة -able (أو -ible أو -ble) على غرار breakable . ولقد كان جدل وخلاف طويل شارك فيه علماءُ وهيئاتٌ ومجامعُ علمية ولغوية . ومما اقتُرح لتلك اللاحقة اليتيمة ، في اوقات مختلفة ، ان تُستعمَلَ صيغةُ (الفعل المضارع) لمعنى اللازم او لمعنى مُوقِع الفعل ، وصيغة (المضارع المبني للمجهول) للواقع عليه الفعل ،

ووزن (فَعيل) ، و (فَعول) ، و (مستفعِل) ، و (مُفعِل) ، والخلافُ لما ينته بعدُ. غير ان نظرة سريعة الى ايٍّ من هذه الاقيسة يمكن ان تُظهِر بطلانها وتهافتها. فقد يصحّ في صيغة (المضارع) ان يقال مثلا (هذه المواد تنضغط) compressible و (تلك حال تتغير) changeable و(فاكهة تؤكل) edible ، لأنه قد يُفهم من كل ذلك معنى (الثبوت) المراد بهذه الالفاظ. ولكنّ المضارع قد لا يُفهم منه دائما هذا وانما قد يراد به ايضا معنى (الحدوث) لأنه يقترن بزمان يحتمل الحال او الاستقبال كما يعرفه النحاة. ومن هنا قد لا يحسُن مثلا ان يقال (هذا الرجل يطّلع) مقابل knowledgeable اذ قد يُفهم من ذلك أنه (يطّلع الآن) بدلا من (واسع الاطلاع). ولا أن يقال (هذه المادة تضاف) مقابل addible فقد يُفهم من ذلك (يجب ان تضاف) is to be added بدلا من (ممكنة الاضافة) ، وفي كل ذلك مدعاة للَّبْس. ولئن صحّ في وزن (فعيل) ان يقال (ماء شريب) drinkable وهو مسموع، فلا يحسُن ان يقال (شخص فهيم) مقابل comprehensible لأن (الفهيم) صاحبُ الفهم والمرادُ (مفهوم). وقد يصحّ في وزن (فعول) ان يقال ايضا (ماء شروب) drinkable وهو مسموع، ولكن لا يحسُن ان يقال (سمك اكول) مقابل edible لأن الأكول (الكثير الأكل) والمراد (الصالح للأكل). ويمكن في وزن (مُفعِل) ان يقال (هذا كرسي مريح) comfortable ولكنه يتهافت في مقابل Iam comfortable فلا يصحّ فيه (مريح) وانما يقال (انا مرتاح). ويمكن في زنة (مستفعِل) ان يقال (مستقيد) مقابل manageable وهو مسموع من استقاد له اي انقاد وخضع، ولكن لا يصحّ ان يقال (مستطلع) مقابل knowledgeable لأن المستطلع هو (الذي يسأل عن الأمر او يطلب الرأي) والمرادُ هنا (الواسع الاطلاع).

ولكن لم كلّ هذا التكلف والتعسف وكثير من هذه المكسوعات يترجم بلفظ واحد بحسب طبيعة معناه مثلِ suitable (لائق) و placable (مُسَالم) و oudible (مسموع) و acceptable (مقبول) و placable (متسامح) و terrible (مخيف) و soluble (ذائب) و comfortable (مرتاح) أو (مريح) بحسب المعنى، و sensible (حسّاس) او (محسوس) كذلك، و changeable (متقلب) و comprehensible (مفهوم) و bearable (يُطاق) و edible (يؤكل) ، وغيرِ ذلك. فان لم يَكْفِ لفظ

واحد فلفظان. وقد اتبع أسلافنا ذلك فقالوا (قابل للضغط) compressible و (جدير بالاحترام) respectable و (صالح للشرب) potable و (واسع الاطلاع) knowledgeable و (سهل المنال) accessible و (كثير الدوران) voluble و (محب للاحسان) charitable و (يستحق العبادة) adorable و (واجب التنفيذ) executable و (سريع التهيج) excitable و(خاضع للضريبة) dutable[٥]. وهم لم يجدوا في ذلك ضيرا. كما لم يجد الانكليز ضيرا في ترجمة صيغة اسم المكان التي هي من خصائص لغتنا ايضا بلفظين، فنقول (مَرْسَم) و (مَسْبَح) و (مَجْزَر) ويقولون drowing office و swimming pool و slaughter house، ولا يقف ذلك حجر عثرة في طريق العلم.

فحوى القول أننا لسنا بحاجة الى التزام صيغة او وزن معين لترجمة كل لفظة اجنبية مؤلفة من جذر وسابقة او لاحقة. ولو اننا تذكرنا ما عليه كثير من المشتغلين في العلوم من قلة البضاعة في اللغة العربية وفقهها لأدركنا فداحة الاخطاء التي قد تنجم عن التزام مثل هذه الاقيسة في ترجمة الالفاظ والمصطلحات.

وافدح من ذلك ان نتكلف اختيار مقابل عربي معين لكل سابقة أو لاحقة اجنبية ثم نُلصقه الصاقا باللفظ العربي. فهو ليس من طبيعة نقل اللغات، كما اتضح من صعوبة نقل حروف الزيادة العربية الى اللغات الاوروبية، فضلا عن ان كل سابقة او لاحقة من هذه الملصقات الاجنبية التي تعدّ بالمئات قد يكون له معان كثيرة كما اتضح من مثال اللاحقة التي ذكرنا.

لا نستعمل الفاظا نصفها عربي ونصفها الآخر اعجمي:

وتجدر الاشارة هنا الى ان بعضهم يذهب أبعد من ذلك كثيرا فيُصرّ من فرط انبهاره بلغة اجنبية على الصاق اللاحقة اللاتينية او اليونانية كما هي باللفظ العربي، وفي ذلك ما فيه من مسخ للغتنا الجميلة وطمس لهُويتها. فمن أمثلة ذلك أنه ظهرت حاجة في

---

(٥) انظر: الملائكة، الدكتور جميل- «في ترجمة المكسوعات بـ -able و -ible و -ble ومحاذير القياس»، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزءان الثالث والرابع، المجلد الثاني والثلاثون، ص ١٦٧ - ١٨٥، بغداد، تشرين الاول ١٩٨١.

اللغات الاوروبية خلال النصف الاول من هذا القرن الى تسمية وَحَدات وجسيمات من أشياءَ متناهية في الصغر في الفيزياء النووية، فَعَمَدوا الى استعمال اللاحقة اليونانية on . التي اصطلحوا بها للدلالة على معنى (الوَحدة الأصغرية او الجُسَيم الابتدائي) من الشيء وان كان اصل معناها (الذَّهاب)، فألصقوها بالجذور اللاتينية او اليونانية الدالّة على تلك الأشياء للحصول على مصطلحات مثل phonon و photon و electron (وهذه كانت قد ظهرت في اواخر القَرن الماضي) و nucleon و neutron و proton وغيرها. ومعاني جذور هذه الأشياء على التوالي، (صوت) و (ضوء) . و (كهرب) و (نواة) و (متعادل) و (اول – أو ابتدائي)(٦). ولقد كانت حصيلةُ اصرار هؤلاء على ابقاء اللاحقة الاجنبية وترجمة الجذر الى العربية المصطلحاتِ الغريبةَ (صوتون) و (ضوؤون) و (كهربون) و (نَوَوُن) و (ابتدائيون) و (متعادلون) ، الخ. وهم لتشبثهم بهذه اللاحقة الاجنبية وشدة اعجابهم بها يحتجون بان اهل الاندلس الحقوا الواو والنون ببعض الاسماء على غرار (حمدون) . و (زيدون) للتحبب وهو يشبه التصغير. ولكن كيف توحي ألفاظ (ضوؤون) و (كهربون) و (متعادلون) بمعنى التناهي في الصغر واظهر ما في هذه الواو والنون معنى الجمع الذي يكاد يناقض دلالة التصغير؟ ولم كل هذا التمسك باللاحقة الاجنبية والانقياد ولخصوصيات لغة غريبة عن لغتنا وافتعال الحُجَج لها مهما كانت واهية؟ أليس اسهلَ واقلَّ امتهاناً للعربية وتشويها لصفائهاان نستعمل صيغة التصغير العربية فنقولَ مثلا (صُوَيْتَه) و (ضُوَئية) و (كُهَيربة) و (نُوَيَّة) و (بُديئة) و (معيدلة) ، الخ؟ وماذا سيكون مصير العربية العلمية لو أن جُلَّ اسمائها يصبح على غرار (صَوْتيم) و (صَوتيك) و (صَوْتون) و (صَوْتولايت) ، و (كهربود) و (كهربون) و (كهربوم) و (كهربولايت) و (كهربوليسس) لتقابل مصطلحات phoneme و phonics و phonon و phonolife (وهو صخر بركاني له رنين عند دقّه) ، و electrode و electron و electrom (وهو سبيكة من الذهب والفضة) و electrolyte و electrolysis، الخ؟

---

(٦) انظر: Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, Merriam Webster Inc., Publisher, Springfield, Mass. U.S.A., 1983.

لعله افضلُ ان يبقى استعمال بعض هذه المصطلحات الاجنبية اذا استعصت ترجمتها على المشتغل بالعلوم الى حين وجدان مقابلات لها عربية، من ان نحولها الى الفاظ نصفها عربي ونصفها اعجمي.

المصطلح يوضع لأدنى علاقة بالمعنى:

ولكنْ لا ننسَ ان المصطلح يوضع لأدنى ملابسة بالمعنى. وحتى هذه المصطلحاتُ الاجنبيةُ نفسُها ليست دلالتُها اللغوية البسيطة بمؤدية معانيها العلميةَ الدقيقة. لولا انها اصطُلح بها لهذه الأغراض. ومن ثَمّ فليس من الصعب اطلاقا الاصطلاحُ بمقابلات عربية لها، من دون الانقياد لشكل تركيبها، اذا استعان المشتغل بالعلوم اهلَ اللغة في ذلك.

اما الادعاء بان اكثر المصطلحات الاجنبية يؤدي من المعاني الدقيقة مالا تؤديه الالفاظ العربية فهو كلام لا يصدُرُ الاّ عن غير متضلع في اللغة الاجنبية ولا عارفٍ بدقائق اللغة العربية.

ضرورة الحدّ من شيوع الالفاظ الاعجمية:

ويُفضي بنا هذا الكلام اخيرا الى ضرورة العمل على الحدّ من تكاثر شيوع الالفاظ الاعجمية على غرار (الراديو) و (التلفون) و (البندول) و (الفرامل) ولا (الايسوتوب) و (الهيليوكوبتر) و (الكمبيوتر)، التي يُصِرُّ على بقائها بعض المبهورين باللغات الاجنبية متذرعين بمختلف الحُجَج مثلِ دقة دلالة اللفظ الاجنبي في حين أنّ دقة الدلالة لا تأتي الاّ بعد التواضع والاصطلاح على المعنى، او بعالَميّة المصطلح وليس الأمر كذلك في ايّ من هذه الالفاظ أو أشباهها، او بصعوبة المقابلات العربية المقترحة لهذه الالفاظ وغرابتها مع أن المصطلح لا يبدو صعبا او غريبا اذا شاع استعماله وتداولته الألسنة.(١)

---

(١) القي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١ – ٢٥/٩/١٩٨٥م.